﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾ [الحجّ: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ أنَّ سببَ الخِزْيِ والعذابِ عدلُ اللهِ الّذي لا يظلم أحدًا

بعدَما ذكرَ سبحانَهُ وتعالى أنَّ المُجادِلَ في اللّهِ بالباطلِ، لهُ في الدُّنيا خِزْيٌ، ويُذاقُ في الآخرةِ عذابَ الحريقِ، بيَّنَ ﷻ أنَّ هذا الخِزْيَ المُعجَّلَ وذلكَ العِقابَ المُؤجَّلَ لأجلِ ما قدَّمَتْ يداهُ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَدَّمَتْ﴾: المعنى المحوريُّ للأصل (قدم) سَبْقُ الشَّيءِ[2]، يقالُ: شيءٌ قديمٌ، إذا كانَ زمانُهُ سالفًا[3]، ويقالُ: حديثٌ وقديمٌ، وذلكَ إمّا باعتبارِ الزَّمانينِ، وإمّا بالشَّرَفِ، نحوُ: فلانٌ مُتقدِّمٌ على فلانٍ، أي: أشرفُ منهُ[4]، وقادمةُ الرَّحْلِ: خلافُ آخِرتِهِ، ولفلانٍ قَدَمُ صِدْقٍ، أي: شيءٌ سابقٌ مِنْ أثَرٍ حَسَنٍ[5]، ويقالُ: تقدَّمَهُ، وتقدَّمَ عليهِ، واستقدمَ[6]، وهو يتقدَّمُ بينَ يدَيْ أبيهِ: يَعْجَلُ في الأمرِ والنَّهيِ دونَهُ[7]، وأرادَ في السّياق، بقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، أي ما قدّمت من الأعمال، وما قمت به من الأفعال، والمقصود هنا أفعال الشّرّ المقتضية للعقوبة والنّكال، وقد جاءت مضافة إلى اليد، دون سائر الأعضاء، لأنّ اليد هي الّتي يرتكب بها أكثر ما يجني الإنسان من أفعال، أو ما يقترفه من جرائر، فأضيف إلى اليد ما عمله، وإن لم يكن باشر فعله باليد.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 207.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدم)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قدم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدم).
(4) الرّاغب، المفردات: (قدم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدم).
(6) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (قدم).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (قدم).

2) ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾: للأصل (ظلم) معنيانِ رئيسانِ؛ أحدُهما: خلافُ الضّياءِ والنّورِ، والآخرُ: وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضعِهِ تعدّيا[1]، فمِنَ الأوَّلِ: الظُّلمةُ، وهي عدمُ النّورِ، وجمعُها: ظُلُماتٌ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النّور: 40]، ويُعبَّرُ بها عنِ الجهلِ والشِّرْكِ والفِسْقِ، كما يُعبَّرُ بالنّورِ عن أضدادِها، ومِنَ الثّاني: الظُّلْمُ، وهو وضعُ الشَّيءِ في غيرِ موضعِهِ المختصِّ بهِ، إمّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإمّا بعُدولٍ عن وقتِهِ أو مكانِهِ، ولذلكَ يقالُ: ظلمتُ السِّقاءَ: تناولتُهُ في غيرِ وقتِهِ، ويُسمَّى ذلكَ اللَّبَنُ الظَّليمَ[2]، والظُّلْمُ لا يَخْرُجُ عنِ انتقاصِ المُستحقِّ؛ فالجَوْرُ على حقوقِ النّاسِ منعٌ لهُم منها[3].

3) ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: (عبد) أصلانِ يدلُّ الأوَّلُ منهما على لينٍ وذُلٍّ، ويدلُّ الثّاني على شِدَّةٍ وغِلَظٍ، فالأوَّلُ العبدُ، وهو المملوكُ[4]، والجمعُ: العبيدُ، والعُبوديَّةُ: إظهارُ التَّذلُّلِ، والعِبادةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غايةُ التَّذلُّلِ، ولا يستحقُّها إلّا اللهُ تعالى[5]، والعبدُ يقالُ على أضرُبٍ: الأوَّلُ: عبدٌ بحُكْمِ الشَّرعِ؛ وهو الإنسانُ الَّذي يصحُّ بيعُهُ وشراؤُهُ مِنَ النّاسِ، نحوُ: ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ [البقرة: 178]، والثّاني: عبدٌ بالإيجادِ الَّذي لا يكونُ إلّا للهِ، وهو المقصودُ بقولِهِ جلَّ وعزَّ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: 93]، والثّالثُ: عبدٌ بالعِبادةِ والخِدْمةِ، والنّاسُ في هذا نوعانِ: عبدٌ للهِ مُخلَصٌ، وهو المقصودُ بنحوِ قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: 41]، وعبدٌ للدُّنيا مُعتكِفٌ على خِدْمتِها ومراعاتِها[6]، والأصلُ الثّاني: العَبْدةُ، وهي القوَّةُ والصَّلابةُ[7].

المَعْنى الإجماليُّ:

يُخبرُ اللهُ سبحانَهُ وتعالى عنِ المُجادِلِ بالباطلِ أنَّهُ بعدَ لُحوقِ الخِزْيِ بهِ في الدُّنيا، وإلقائِهِ في النّارِ في الآخرةِ - يقالُ لهُ على جهةِ التَّوبيخِ والتَّقريعِ: إنَّ ما أصابَكَ مِنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).
(2) الراغب، المفردات: (ظلم)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (ظلم).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ظلم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد)، وانظر جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عبد).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: 3/ 20.
(6) الراغب، المفردات: (عبد).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).

جـزاء المـجـادل الكفور بما قدّم مع انتفاء الظُّلم عـنـهُ سبحـانَهُ وتعالى

الهَوانِ في الدُّنيا، وما أنتَ فيهِ الآنَ مِن اصطلاءِ لَهَبِ النّارِ؛ بسببِ ما اجترحَتْ يداكَ في الدُّنيا مِنَ الآثامِ والذُّنوبِ، ولأنَّ اللّهَ لا يظلمُ عبادَهُ، فلا يُعذِّبُ أحدًا بغيرِ جُرْمٍ قد فعلَهُ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكت الإعراب في سياق: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾:

يلـحـق الـكـافـر وهـو في عـذابـه التوبيخ والإهانة

اختُلِفَ في إعرابِ جملةِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾: فقيلَ: الجملةُ مَقولُ قولٍ محذوفٍ تدلُّ عليهِ صيغةُ الكلامِ، وهي جملةٌ مُستأنَفةٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ[1]، أي: يقالُ لهُ يومَ القيامةِ: ذلكَ[2]، وقيلَ: الجملةُ في موضعِ الحالِ مِنْ ضميرِ النَّصبِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَنُذِيقُهُۥ﴾[3]، أي: ونُذيقُهُ يومَ القيامةِ عذابَ الحريقِ قائلينَ أو مَقولًا لهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[4]، والظّاهرُ أنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، في موضعِ رفعٍ بالابتداءِ، وخبرُهُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[5]، وجُوِّزَ أنْ يكونَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضعِ رفعٍ على أنَّهُ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والمعنى: (الأمرُ ذلكَ بما قدَّمَتْ يداكَ)[6].

مرجعُ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾:

الإشـارةُ للخِزْيِ والـعـذابِ من بليغ التّعبير عن المراد من السّياق

قيلَ: الإشارةُ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، راجعةٌ إلى العذابِ، والمعنى: (عذابُ الحريقِ بما قدَّمَتْ يداكَ مِنَ المعاصي والكفرِ)[7].

وقيلَ: الإشارةُ راجعةٌ إلى ما تقدَّمَ مِنَ الخِزْيِ في الدُّنيا، وعذابِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 209.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 66.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 209.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 118.
(5) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 414، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 520.
(6) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 414.
(7) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 16، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 210.

الحريقِ في الآخرةِ، أي: ما ذُكِرَ مِنْ خِزْيِ الدُّنيا وعذابِ الحريقِ في الآخرةِ بما قدَّمَتْ يداكَ مِنَ المعاصي والكفرِ[1].

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ في ﴿ذَٰلِكَ﴾:

تفخيمُ شأنِ المُشارِ إليهِ وتفظيعُهُ مقصودٌ في السّياق

في التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، تحقيقٌ للمُشارِ إليهِ، حتَّى كأنَّهُ محسوسٌ مُشاهَدٌ[2]، وما فيهِ مِنْ معنى البُعْدِ؛ للإيذانِ بكونِهِ في الغايةِ القاصيةِ مِنَ الهَوْلِ والفَظاعةِ[3]، أي: الخِزْيُ والعذابُ الفظيعانِ الهائلانِ، بما قدَّمَتْ يداكَ.

دلالةُ الباءِ في قولِهِ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾:

بيان ملمح السَّببيَّةِ ودلالة ذلك في السّياق

الظّاهرُ أنَّ الباءَ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ للسَّببيَّةِ، والمعنى: (ما مُنيتَ بهِ مِنْ خِزْيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ، بسببِ ما قدَّمَتْ يداكَ مِنَ الكفرِ والتَّكذيبِ)[4]، وإسناده إلى (يديه)، لما أنّ الاكتساب عادة يكون بالأيدي، وقيلَ: يجوزُ أنْ تكونَ الباءُ للمُقابَلةِ[5]، أي: (ذلك مقابلُ ما قدَّمَتْ يداكَ)، ودلالة السّياق بقوله للمخاطب: (إنّ ما ذكر من الخزي والتّعذيب، كان جزاء وفاقًا، لما اقترفت كفّاك، وما قدّمت يداك)، واللّه يفعل ذلك من منطلق العدل والإنصاف، في المكافأة على الصّالحات، والعقوبة على الزّيغ والانحرافات.

دلالةُ (ما) في: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾:

كلّ البشر يجازون بما قدّموا ولا يظلمون فتيلا

(ما) في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ موصولةٌ، والمعنى: (ذلكَ المذكورُ مِنَ الخِزْيِ والعذابِ، بسببِ الَّذي قدَّمَتْهُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9722.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 432.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 118.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 146، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 207، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 430.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 22.

يداكَ مِنَ الكفرِ والتَّكذيبِ)[1]، ومفاد ذلك، أنّ "يقال لهذا المتكبّر المختال الضّالّ: ذلك الّذي تلقاه من خزي وعذاب، بسببِ ضلالك وكبريائك، واللّهُ لا يظلم أحدا"[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ: ﴿قَدَّمَتْ﴾:

في التَّعبيرِ بالتَّقديم في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ نكتةٌ لطيفةٌ، حيثُ جُعِلَ كفرُهُ كالشَّيءِ الَّذي بعثَ بهِ إلى دارِ الجزاءِ، قبلَ أنْ يَصِلَ هو إليها، فوجدَهُ يومَ القيامةِ حاضرًا ينتظرُهُ، قالَ تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49][3].

جعلُ الكفرِ كالشَّيءِ المبعوثِ بهِ إلى الآخرةِ مقدّمًا بين يدي مرتكبه

علَّةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي ﴿قَدَّمَتْ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي، في قولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ لما تُفيدُهُ هذهِ الصّيغةُ مِنْ تحقُّقِ صُدورِ الكفرِ والتَّكذيبِ عنهُ، وذلكَ يناسبُ مقامَ التَّخسيرِ والتَّحسيرِ، وبيانِ سببِ استحقاقِهِ للخِزْيِ والهَوانِ في الدُّنيا، والعذابِ الأليمِ في الآخرةِ.

ملاءمةُ الماضي لمقامِ التَّخسيرِ والتَّحسيرِ

بلاغةُ المجازِ في جملة: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾:

قولُهُ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ معناهُ: ذلكَ بما قدَّمتَ، لكنْ نُسِبَ التَّقديمُ إلى اليدين؛ لأنَّهما آلتا الاكتسابِ[4]؛ فاليدُ هي الَّتي تفعلُ وتَبْطِشُ لجُملةِ الشَّخصِ[5]، فيكونُ في الكلامِ مجازٌ مُرسَلٌ مِنْ قَبيلِ التَّعبيرِ عنِ الكلِّ باسمِ الجزءِ[6].

التَّعبيرُ بالجزءِ وإرادةُ الكلِّ من فصيحِ البيانِ

وفي نسبةِ التَّقديمِ إلى اليدينِ أيضًا مَزيدُ تسجيلٍ عليهِ، بأنَّ ما لَحِقَهُ مِنَ الخِزْيِ والعذابِ بسببِ مباشرةِ أسبابٍ منهُ هو، لا بسببِ أمرٍ خارجٍ عنهُ[7]، فيكونُ ذلكَ أدعى لحَسْرتِهِ وندامتِهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 210.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 210.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 210.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 109.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 16.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4950.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 16.

علَّةُ تثنيةِ اليدِ في قولِهِ: ﴿يَدَاكَ﴾:

المبالغةُ في نسبةِ التَّقديمِ لهُ حتّى تقام عليه الحجّة

قيلَ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ بالتَّثنيةِ، ولم يُقَلْ: (ذلكَ بما قدَّمَتْ يدُكَ) بالإفرادِ؛ لِما تُفيدُهُ تثنيةُ اليدِ مِنَ المبالغةِ في نسبةِ التَّقديمِ لهُ، وأنَّهُ قد صدرَ منهُ بكِلْتا يديهِ[1]، ومن صدر منه ذلك بكلتا اليدين، دلّ على تشبّثه بالفعل، وإصراره على المقارفة، دون التفات إلى التّحذير، ولا اكتراث بالمصير، وهو ما استوجب به أن يذكّر بأنّه لم يظلم، وإنّما كان ما حلّ به جزاء ما اقترف، وإن أنكر ولم يعترف.

بلاغةُ الالتفاتِ في الآيةِ المحكمة:

تغيير الصّيغة مِنَ الغَيبةِ إلى الخطابِ يقتضيه المشهد في هذا الباب

في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، التفاتٌ مِنَ الحكايةِ، في قولِهِ: ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ إلى الخطابِ، حيثُ لم يُقَلْ: (ذلكَ بما قدَّمَتْ يداهُ)، وفائدةُ هذا الالتفاتِ تأكيدُ الوعيدِ، وتشديدُ التَّهديدِ[2]، إضافةً إلى ما في توجيهِ الخطابِ لهُ مِنَ التَّقريعِ والتَّبكيتِ، فيُجمَعُ لهُ بينَ العِقابِ الجسديِّ بالحريقِ، والعِقابِ النَّفسيِّ بالتَّخسيرِ والتَّحسيرِ.

إعرابُ جملة نفي الظّلم عن الله جلّ في علاه:

دخولُ السّياق أو عدمه في حيّزِ السَّببيَّةِ كلاهما مبينٌ عن الدّلالة السّنيّة

الظّاهرُ أنَّ قولَهُ جلَّ وتبارك: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، معطوفٌ على (ما) الموصولةِ، في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ لأنَّهُ في تأويلِ مصدرٍ، أي: وبانتفاءِ ظُلمِ اللهِ العبيدَ، فيكونُ داخلًا في حيِّزِ السَّببيَّةِ[3]، أي: ذلكَ مُسبَّبٌ لهذينِ الأمرينِ، فصاحبُهُ حقيقٌ بهِ؛ لأنَّهُ جزاءُ فسادِهِ، ولأنَّهُ أثَرُ عدلِ اللهِ تعالى، وأنَّهُ لم يَظْلِمْهُ فيما أذاقَهُ[4]، وقيلَ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّـهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، غيرُ داخلٍ في حيِّزِ السَّببيَّةِ، والتَّقديرُ: (والأمرُ أنَّ اللهَ ليسَ بمُعذِّبٍ لعبيدِهِ مِنْ غيرِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 22.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 66، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 118.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/ 52، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 430.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 23، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 210.

ذنبٍ مِنْ قِبَلِهم)[1]، وعلى هذا الوجهِ تكونُ الجملةُ اعتراضًا تذييليًّا مُقرِّرًا لمضمونِ ما قبلَها[2].

سرُّ التَّوكيدِ بلفظ ﴿وَأَنَّ﴾ في السّياق:

تأكيدُ الكلامِ زيادة تأكيد لمضمونه

تصديرُ قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ بالتَّوكيدِ؛ للاهتمامِ بمضمونِ الكلامِ، وإفادةِ تحقُّقِ انتفاءِ ظُلْمِهِ سبحانَهُ وتعالى للعبيدِ، والمقامُ يقتضي ذلكَ؛ لأنَّهُ لإقامةِ الحُجَّةِ على المُجادِلِ بالباطلِ، وبيانِ أنَّ ما حاقَ بهِ نتيجةُ أعمالِهِ.

وجهُ اختيارِ لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهَ﴾ دونَ غيرِهِ:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لسياقِ إظهارِ العدلِ وانتفاءِ الظّلم

اختيرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسْنى، في قولِ الحقِّ جلَّتْ قُدرتُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ لِما يُنبِئُ عنهُ هذا الاسمُ الجليلُ مِنْ صفاتِ الكمالِ الَّتي بها استحقَّ سبحانَهُ وتعالى الأُلوهيَّةَ والوحدانيَّةَ[3]، ومِنْ جملةِ ذلكَ عَدْلُهُ سبحانَهُ وتعالى، وقُدرتُهُ على تعذيبِ مَنْ يعصيهِ ويخالفُ أوامرَهُ، ويُجادِلُ فيهِ بالباطلِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بنفيِ الظُّلمِ في الآيةِ الكريمة:

بيانُ المبالغةِ في بيانِ كمالِ نَزاهتِهِ تعالى عنِ الظُّلمِ

قولُهُ جلَّتْ حكمتُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ معناهُ: أنَّه تعالى ليسَ بمُعذِّبٍ لعبيدِهِ بغيرِ ذنبٍ منهُم، والتَّعبيرُ عن ذلكَ بنفيِ الظُّلمِ معَ أنَّ تعذيبَهم بغيرِ ذنبٍ ليسَ بظُلْمٍ فضلًا عن كونِهِ ظُلمًا بالغًا؛ لبيانِ كمالِ نَزاهتِهِ جلَّ شأنُهُ عن ذلكَ، بتصويرِهِ بصورةِ ما يستحيلُ صُدورُهُ عنهُ سبحانَهُ مِنَ الظُّلمِ، كما يُعبَّرُ عن تركِ الإثابةِ على الأعمالِ بإضاعتِها، معَ أنَّ الأعمالَ غيرُ موجبةٍ للثَّوابِ، حتّى يلزمَ مِنْ تخلُّفِهِ عنها ضَياعُها[4].

---

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 488، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 97.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 16.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/ 121، وقد ذكر ذلك في تفسير الآية (182) من سورة آل عمران.

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ المبالغةِ بقوله ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾:

الظُّلْمُ مِنْ حيثُ هو ظُلْمٌ أمرٌ شديدٌ وعاقبته وخيمة

اختُلِفَ في سرِّ التَّعبيرِ بصيغةِ المبالغةِ، في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، معَ أنَّهُ تعالى ذكرُهُ لا يظلمُ مِثقالَ ذرَّةٍ: فقيلَ: لأنَّ أقلَّ قليلِ الظُّلمِ لو صدرَ منهُ تعالى كأكثرِ الكثيرِ منّا[1]، كما يقالُ: حَسَناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ[2]، وقيلَ: المبالغةُ لكثرةِ العبيدِ، كما يدلُّ عليهِ اقترانُهُ بلفظِ الجمعِ، وهو العبيدُ[3]، واعتُرِضَ عليهِ: بأنَّهُ لا يلزمُ مِنْ نَفْيِ ظُلْمٍ كثيرٍ مِنَ العبادِ نَفْيُ ظُلْمٍ بعضِهم[4]، وقيلَ: يجوزُ أنْ تُعتبرَ المبالغةُ بعدَ النَّفيِ، فيكونُ مبالغةً في النَّفيِ، لا نفيًا للمبالغةِ[5]، ويكونُ معنى الكلامِ: وأنَّ اللّهَ مُنتَفٍ عنهُ الظُّلمُ غايةَ الانتفاءِ[6]، وقيلَ: صيغةُ المبالغةِ تقتضي بظاهرِها نَفْيَ الظُّلمِ الشَّديدِ، والمقصودُ أنَّ الظُّلمَ مِنْ حيثُ هو ظُلْمٌ أمرٌ شديدٌ، فصيغَتْ لهُ زِنَةُ المبالغةِ، وكذلكَ التُزِمَتْ في ذكرِهِ حيثُما وقعَ في القرآنِ[7].

سرُّ إيثارِ لفظِ (العبيدِ) على لفظِ (العِبادِ):

اختيارُ اللَّفظِ المُشيرِ إلى المَسكَنةِ وقلَّةِ القُدرةِ

اختيرَ لفظُ العبيدِ، في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، ولم يُقَلْ: (وأنَّ اللّهَ ليسَ بظلّامٍ للعِبادِ)؛ لأنَّ العبيدَ هنا ذُكِروا في معنى مَسْكَنَتِهم، وقلَّةِ قُدرتِهم، ولأنَّهُ موضعُ تشفيقٍ وتنجيةٍ مِنْ ظُلمٍ، فلذلكَ جاءَتْ هذهِ الصّيغةُ[8]، يضافُ إلى ذلكَ أنَّ لفظَ العبيدِ أنسبُ بفواصلِ الآياتِ هنا، قال الشّعراويّ: "فالحقّ سبحانه ليس بظلّام للعبيد؛ لأنه بيَّن الحلال والحرام، وبيَّن الجريمة، ووضع

(1) النّيسابوريّ، إيجاز البيان: 2/ 570.
(2) الخفاجيّ، حاشية على البيضاويّ: 6/ 284.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 66، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 430.
(4) الخفاجيّ، حاشية على البيضاويّ: 6/ 284.
(5) الخفاجيّ، حاشية على البيضاويّ: 6/ 284.
(6) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 13/ 23.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17/ 210.
(8) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 109، واعترض على هذه التّفرقة أبو حيان في البحر المحيط: 3/ 457.

لها العقوبة، وقد بلَّغَتِ الرُّسل من بداية الأمر، فلا حُجَّةَ لأحد"[1]، وعليه فالحجّة قائمة على مجموع المخلوقات المكلَّفة، ممَّن سمّاهم العبيد.

التّشابه اللّفظيّ بين هذهِ الآية وآيتي آل عمران (182) والأنفال (51):

اختلفت الآيات المذكورة في تثنية اليد وجمعها

تشابهَتْ هذهِ الآيةُ في مُعظَم ألفاظِها معَ قولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: 182]، وقولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: 51]، واختلفَتْ مِنْ حيثُ تثنيةُ اليدينِ هنا، وجمعُ الأيدي في آيتَيْ آلِ عمرانَ والأنفالِ، والسِّرُّ في ذلكَ: أنَّ هذهِ الآيةَ نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ أو أبي جَهْلٍ، فوحَّدَهُ في الخِطابِ بقولِهِ: ﴿يَدَاكَ﴾، وفي غيرِها نزلَتْ في الجماعةِ الَّذينَ تقدَّمَ ذكرُهم، فجمعَ في قولِهِ: ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: 182] [الأنفال: 51][2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(قدّمت يداك) و(كَسَبت يداك):

استعمالُ كَسْبِ اليدينِ في سياقِ الحديثِ عنِ الأخذِ والاستحواذِ

يُلحَظُ في القرآنِ الكريمِ أنَّهُ يستعملُ كَسْبَ اليدينِ، في سياقِ الحديثِ عنِ الأخذِ والاستحواذِ، ويستعملُ تقديمَ اليدينِ، حينَ لا يكونُ السّياقُ للحديثِ عنهما.

ومِنْ أمثلةِ ذلكَ: قولُهُ تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: 41]، وقد ذكرَ قبلَها كَسْبًا غيرَ مشروعٍ بقولِهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: 39].

وقولُهُ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 4/ 109، واعترض على هذه التّفرقة أبو حيان في البحر المحيط: 3/ 457.
(2) الكرمانيّ، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 144.

عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ [الشّورى: 30]، وقد ذكرَ قبلَها كَسْبًا وسوءَ تصرُّفٍ، بقولِهِ: ﴿*وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشّورى: 27].

ومِنْ أمثلةِ ذكرِ تقديمِ اليدينِ: قولُهُ سبحانَهُ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الرّوم: 36]، وقد قالَ قبلَها: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الرّوم: 33]، وليسَ فيها كَسْبٌ[1].

(1) السّامرائيّ، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم: 5/ 173.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»